

الأمثال في القرآن الكريم

(104) وما ذكرنا هو المستفاد من الآيات وقد صرح به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: قال: "لا يقولنَّ أحدكم: اللّهمَّ إنِّي أعوذ بك من الفتنة، لأنَّه ليس أحد إلاَّ و هو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإنَّ سبحانه يقول: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَنفُسُكُمْ وَمَنَاسِكُكُمْ فَلَا تُغْوِىَ فِتْنَةٌ وَمَنَاسِكٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَبَتُّوا وَلِلَّهِ جَنَّةُ مَأْوَىٰ) ومعنى ذلك أنَّه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُستحق الثواب والعقاب". (1) إلى هنا تبين معنى مفردات الآية وسبب نزولها والآيات التي وردت في هذا الصدد في حقِّ سائر الأنبياء. إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الآية. يقول سبحانه: إنَّ الابتلاء بالبأساء والضراء سنة إلهية جارية في الأنبياء كافة ولا تختص بالأنبياء الإسلامية، فالتمحيص وتمييز المؤمنين الصابر عن غير الصابر رهن الابتلاء. فلا يتمحض إيمان المسلم إلاَّ إذا غربل بغيرلة الامتحان ليخرج نقياً. ولا يترسخ الإيمان في قلبه إلاَّ من خلال الصمود والثبات أمام أعاصير الفتن الهوجاء. وكأنَّ الآية تسلية لنبيه وأصحابه مما نالهم من المشركين وأمثالهم، لأنَّ سماع أخبار الأنبياء الماضية يسهِّل الخطب عليهم، وإنَّ البلية لا تختص بهم بل تعم غيرهم أيضاً، ولذلك يقول: (أَمْ مَنِ احْسَبُكُمْ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ حَسْبًا عَلَيْهِمْ لَّعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَذَابُ أَلَمَ لَكُمْ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَاتِ مَوَاقِعَهَا وَلِئَلَّامَهُمْ يَلْعَنُوا لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ كَذِبٍ عَاسُونَ) (النحل: 103) أي أن تدخلوا الجنة (ولمَّا يَأْتِ تَرَكُّبُهُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ)، أي أن تدخلوا الجنة ولما تبتلوا وتمتحنوا بمثل ما ابتليت به الأنبياء السالفة وامتحنوا به. فعليكم بالصبر والثبات كما صبر هؤلاء وثبتوا. _____ 1 - نهج البلاغة: قسم الحكم: الحكمة 93.